العيب

بقلم : راشد رستم

دق جرس التليفون مرات كثيرة ولكن لم يتنبه لدقاته المتتالية المتكررة لا (تكريم هانم) ولا زوجها الاستاذ (ناشد) مع ان مكانه قريب من مجلسهما .

تتابعت دقات التليفون ولم تنقطع ، اما ناشد فلم يتحرك لها، واما تكريم هانم فقد قامت اليه اخيرا وهي في تثاقل وبرهرة ، تلعن الزمان والمكان ، وتتناول السماعة في حالة عصبية شديدة ما اسرع ان تحولت الى حالة طبيعية هادئة. ثم ما كان أتقن من تكريم هانم في ان تجعل لهجتها لطيفة سهلة ليس فيها من البرهرة والتبرم شيء .

دار الحديث مع صديقتها في غاية من الود والاشتياق .. وضحكت ضحكات عاليات .. وأظهرت سرورها بما اخبرته به صديقتها.. وانتهى الحديث التليفوني ببعض الضحكات .. وتمنيها في الانتظار ..

ثم تلفتت الى زوجها السيد / ناشد فوجدته في مكانه ساكنا قابعا هادئا .. وقد هم للقيام الى غرفة الطعام وكان لم يكن يدور امامه مشهد تمثيلي خفيف من ممثل قدير بارع يجمع بين الغراميديا والكوميديا في لحظة واحدة ..!

وبادرته تكريم هانم تسأله في غيظ كيف يستطيع أن يتناول شيئا من الطعام في هذه الحالة الغريبة من الاضطراب ؟!

وفي هدوئه ورزانته يقول ناشد أن لا حالة غريبة ولا عجيبة ، وانه هادئ، وانها هي التي استطاعت بقدرة قادر .. أن تتبدل أمام التليفون بسرعة البرق من حال الى حال .. من زعيق وصياح الى ضحك وهزار ، وموعد وانتظار ، وكان لم يكن شجار !.

تكريم وهل كنت تريدني أن أقول لمن تكلمني بأنها كنا في مشادة أنا وسعادة .. زوجي منذ أقل من الدبوان ..؟

وان كانت من طرف واحد ..

ثم اخذ طريقه الى غرفة الطعام فاعترضته، ثم عادت فجلست الى المائدة في عصبية ظاهرة وان حاولت اخفاءها

أما هو ففي سخرية الخالق الكظيم يطلب منها أن تدله على موضع السم في الطعام الذي اخبرته عنه بمجرد مجيئه.

تكريم ـ أنا .. أنا قلت ذلك ؟!

ناشد ـ نعم. ألم تخبريني ان اللحمة التي احضرها الأسطى عبده و ..

تكريم ـ (تسرع وتقاطعه) أنا !! حرام عليك ..

ويدهش ناشد لسرعة انكارها وتغير لهجتها، غير انه ادرك السبب اذ كان قد ظهر محمد السفرجي يحمل اول اصناف الطعام ، وقد لمحته من بعيد وهو قادم ، فأخذت في المداراة والانكار والتحول بسرعة كعادتها ..

محمد السفرجي ـ هذه يا سيدي لحمة باردة بالحلاتين كانت سيدتي قد امرت باعدادها ، وقد جهزها اليوم الاسطى عبده .

تناولت تكريم قطعة وتذوقتها واظهرت رضاها عنها ، وانها بالضبط كما اشتهتها، وكلفت محمد بأن يبلغ الاسطى عبده امتنانها ..

ناشد ـ (متحاملا) حقيقة أن طعمها لذيذ ورائحتها لطيفة جدا .. ولكن قل لي يا محمد .. كانت صلصة رائحة كريهة جدا . أظنها من لحمة نتنة او من شيء آخر . ثم يتجه الى تكريم ويسألها عن ذلك .. لكنها تنظر اليه في غيظ وحنق وتكر على شيء من هذا ..

ولكن محمد السفرجي يقول بكل سذاجة انه اهتم هو والاسطى عبده .. وهنا ظنت تكريم هانم انها انتصرت ، غير أن محمد [illegible] الخبران ..

ولما خرج السفرجي ناشد ناشد تكريم أن تتقي الله ، وأن الافتراء على الناس حرام .. وأن بعض الطي آثم، وان الحياة بالتطفل فاسدة ومفسدة وانه كان واجبا عليها ان تبحث أمر الرائحة في وقتها حتى تتحاشى تسميمها الى لحمة مسمومة أحضرها الاسطى الطباخ ..

ثم كان حديث المائدة بعد ذلك سلسلة من العبرات والمنغصات ، وبعد العناء اخذ ناشد في الاسترواح .. وأما تكريم فقد أخذت ترتدي ثوبا من ثياب ما بعد الطهارة استعدادا للقاء صديقتها فاطمة هانم ..

حضرت فاطمة هانم تتطر وتتهادى برشاقتها وفي ثوبها الزاهي الثمين وعطرها الفياح .. وقابلتها تكريم هانم في الصالون باشتياق وعناق ثم رفت القبلات بينهما رنينا عاليا تتخللها الضحكات والتحيات ..

وقد أظهرت تكريم لصديقتها سرورها بما تم من التصالح بينها وبين خطيبها وبعودة المياه الى .. مواسيرها !. وبعد ضحكات سألتها ـ وكيف كان ذلك ؟

وتعتدل فاطمة هانم في جلستها وكأنها الدبلوماسية المتبصرة وتقول بأنها تظاهرت بعدم الاكتراث به وفي الوقت ذاته كانت تبعث اليه برسلها خفية تثير فيه الغيرة .. حتى ضاق ذرعا وانتهى به الامر الى أن يتكلم معها أمس في التليفون معتذرا مستعطفا متوددا يسألها المقابلة .. فكانت تتمنع وهي الراغبة .. ثم أسرعت الى تلبية طلبه .. غير أنها لم تنسأ أن تكون المقابلة دون جدوى .. فتشكرها تكريم هانم وتهنئها

على انقاذ دورها وعلى مهارتها تليفونيا وعلى احتيارها عدولا ..

فاطمة ـ اما عن المهارة تليفونيا فليس من أحد يستطيع أن يجاريك فيها يا عزيزتي .. لقد شهد الجميع بأنك عبقرية التليفونات .. فقد تكونين باكية فاذا بك على التليفون ضاحكة .. وهكذا من زعيق وخناق الى سكون ورقة وعناق .. كل ذلك بك بأسرع مما يتخيله الفكر .. فانت اساتذتنا تليفونيا ...

تكريم ـ المعذرة .. ولكن خبريني ماذا تعملين لو ان التليفون صار كالتليغرون اظن تحصل ازمات روحية كثيرة ؟..

فاطمة ـ لا ازمات ولا غيرها .. اطمئني يحلها الحلال ، وقتها نعرف نعمل ما هو لازم .. ومع ذلك فقد يكون الامر في فائدة المجتمع .. فيمتنع الناس عن النفاق والكذب .. ولا يكون النفاق سيد الاخلاق كما هو الآن ..

تكريم ـ نرجو ذلك على اني لا اظن ذلك .. فكل شيء سيبقى كما هو تليفونيا ، اللهم الا وسائل الاستدعاء على انك المركة فيك .. فيها الدبلوماسية كلها .. وهل يستطيع احد أن يقوم بمهارة مثل ما فعلت مع عزيز !..

فاطمة ـ هذا أبسط شيء مع امثال عزيزي .. عزيز ..

تكريم ـ اما انا فلا حاجة لي بهذه المناورات والالاعيب ... ان ناشدا هو الروح المثالي .. لولا انه احياني بعاطفته على أني لم افهم الحياة .. مع أني عركت الحياة عركا ، وعركتني الحياة عركا ...

فاطمة ـ احمدي ربك واشكريه على ما في روحك من سمات الرحولة والكمال والجمال .. ثم ان العبرة التي تمارسينها معه المؤسسة على الاحتمالات والظنون والاحتراعات .. هي من أحط اسباب الشكد بين الزوجين .. وقد تفعل أكثر من ذلك . والعياذ بالله ...

تكريم ـ (في تخابث) اني أفعل ذلك مع ناشد حتى لا يمرغ بي ..

فاطمة ـ اسمعي . قد تفقدين روحك ثم تعودين فتفقدينه فلا تجدينه . أما هو فقد يفقدك ولا يفتقدك .. ان الرجل غير المرأة . حريته أوسع من حريتها ..

تكريم ـ هذا كان زمان . ثم ان الرجل ليس أمكر من المرأة ولا أكثر منها حيلة .

فاطمة ـ وما الداعي للمكر والحيلة بين الارواح ـ هذا ولم تخلص المرأة بالمكر دون الرجل ..

تكريم ـ ان غيرتي هذه هي لاني أحبه .. أعبده ..

فاطمة ـ أيها اعانيك وحبك لنفسك . ان كثرة تصرفاتك الشاذة المتكررة الواهية تجعله يضجر ويسأم ، واذا سئم المحب ضاع المحبوب ..

تكريم ـ والحب ؟

فاطمة ـ الحب لا يضيع . وقد يبقى ويدوم بدون محبوب . وهذا حال المتاليين .. لهفي عليهم .. كان الله معهم ..

تكريم ـ من المشاهد بيننا أن أكثر مايكون تقاضينا أنا وناشد هو على أمور تافهة .. وانى أعترف انني أنا التي ابادره ، مدفوعة بالغيرة والحب ولذلك يقول لي ـ السادي أظلم .. فاشعر بالقلق يتولاني واخاف من الحياة ..

فاطمة ـ انها المعاهرة ..

تكريم ـ بل انه الحب ..

فاطمة ـ بل انه ، الهوس ، .. هو اللعب بالنار . سلاح خطير ..

***

هنا أراد تكريم تغيير الحديث فتوجه فاطمة الى موعدها مع خطيبها عزيز ، ولكن فاطمة هانم قالت انها تعمدت أن تجعله يسطر على أحر من الجمر .. وان هذه هي احدى طرقها .. فسألها تكريم اذا اذن هي تعيب عليها ما تفعله مع ناشد ؟

فاطمة ـ ان ناشدا هو روح ، أما عزيز فهو خطيب ، وشتان بين الاثنين . ان الخطيب يحب بروحه وبالاحرى اذا كان مثل عزيز ، وأما الزوج فيجب ارضاؤه وبالاحرى اذا كان مثل ناشد . ان عزيزا في حاجة الى الصقل وادراك المسؤولية .. أما روحك فهو رجل ناضج يدرك الاعيب ويستخفها ولا يطيقها ، وتذهب بصبره واحتماله ..

تكريم ـ انعما .. وهيا بنا لملاقاة عزيز عند سديقك .

***

وكان لقاء فصاحب ، ولم يدم الاجتماع طويلا بل كان أشبه بالمؤتمر ـ كما يمهد لها من قبل .

ثم صحبت فاطمة خطيبها عزيزا الى احدى دور السينما او هكذا يقولان .

وأما تكريم هانم فقد اسرعت الى بيتها ، منشرحة الصدر ، هادئة الاعصاب ، مطمئنة البال ، وقد احدث عمل نفسها عهدا بتغيير خطتها ، فلا اذعيل ولا الاعيب ..

وعند عودتها الى منزلها وجدت زوجها جالسا في ضوء القمر بالشرفة وحيدا يفرا على ضوء المصباح فاقبلت عليه بالقبلات ترشقها هنا وهناك ولكنه لم يقابلها بالمثل .. فكادت تهب العاصفة وما أسرع قيامها عند السيدة تكريم هانم .

ولكن الله سلم ، اذ يسرع ناشد فيقوم في همة ونشاط ، يطفىء المصباح ويلقي على حصرها الجميل الرفيع درامه الحلول ، ويدخل بها الغرفة وهو يهمس اليها بانه لم يشأ ان يقبلها في الشرفة وله بمزول من القمر ...